والي عاد اي وارسلنا الي عاد اخاهم فهو معطوف علي قوله تعالى نوحا وقوله تعالى
هودا عطف بيان ومعلوم ان تلك الاخوة ما كانت في الدين وانما كانت في النسبة
لان هودا كان رجلا من قبيلة عاد قبيلة من العرب كانوا بناحية اليمن فان قيل انه
تعالى قال في ابن نوح انه ليس من اهلك فبين ان قرابة النسب لا تفيد اذا لم تحصل
قرابة الدين وهنا اثبت هذه الاخوة مع الاختلاف في الدين اجيب بان قوم محمد
صلى الله عليه وسلم كانوا يستبعدون ان يكون رسولا من عند الله مع انه واحد
من قبيلتهم فذكر الله تعالى ان هودا كان واحدا من عاد وان صالحا كان واحدا من
ثمود لازالة هذا الاستبعاد ولما تقدم امر نوح عليه السلام مع قومه استشرف
السامع الي ما قال هود عليه السلام هل هو مثل قوله اولا فاستانف الجواب
بقوله قال يا قوم اعبدوا الله اي وحدوه ولا تشركوا معه شيا في العبادة
ما لكم من اله غيره اي هو الهكم لا هذه الاصنام التي تعبدونها فانها حجارة
لا تضر ولا تنفع فان قيل كيف دعاهم الي عبادة الله قبل اقامة الدليل
علي ثبوت الاله اجيب بان دلايل وجود الله تعالى ظاهرة وهي دلايل
الافاق والانفس وقل ما يوجد في الدنيا طايفة ينكرون وجود الله تعالى
الاله ولذلك قال تعالى في صفة الكفار ولين سالتهم من خلقهم
ليقولن الله من خلق السموات والارض ليقولن الله وقرا
الكسائي بكسر الها والرا صفة علي اللفظ والباقون صفة علي محل
الجار والمجرور ومن زايدة ان انتم الا مفترون اي كاذبون في عبادتكم غيره
وكرر قوله يا قوم للاستعطاف وقوله لا اسالكم عليه اجرا ان اجري الا علي الذي فطرني
اي خلقني خاطب به كل رسول قومه ازالة للتهمة وتمحيضا للنصيحة
فانها لا تنجع ما دامت مشوبة بالمطامع افلا تعقلون اي افلا تستعملون
عقولكم فتعرفوا المحق من المبطل والصواب من الخطا فتتعظون ثم قال
ويا قوم ايضا لما ذكر استغفروا ربكم اي آمنوا به ثم توبوا اليه من
عبادة غيره لان التوبة لا تصح الا بعد الايمان يرسل السما اي المطر عليكم
مدرارا اي كثير الدر ويزدكم قوة الي قوتكم اي ويضاعف قوتكم وانما
رغبهم بكثرة المطر وزيادة القوة لان القوم كانوا اصحاب زروع وبساتين
وعمارات حراصا عليها اشد الحرص فكانوا احوج شي الي الماء وكانوا مدلين
غرهم بما اوتوا من شدة القوة والبطش والباس والنجدة مهابين في كل
ناحية وقيل اراد القوة في المال وقيل القوة علي النكاح وقيل حبس عنهم
المطر ثلاث سنين وعقمت ارحام نسايهم وعن الحسن بن علي رضي الله
تعالى عنهما انه وفد علي معاوية فلما خرج تبعه بعض حجابه فقال اني
رجل ذو مال ولا يولد لي فعلمني شيا لعل الله يرزقني ولدا فقال عليك
بالاستغفار فكان يكثر الاستغفار حتى ربما استغفر في يوم واحد

سبعماية

سبعماية مرة فولد له عشر بنين فبلغ ذلك معاوية فقال هلا سالته مما قال
ذلك فوفد مرة اخرى فساله الرجل فقال الم تسمع قول هود ويزدكم قوة الي قوتكم
وقول نوح ويمددكم باموال وبنين ولا تتولوا اي ولا تعرضوا عن قبول قولي
ونصحي حال كونكم مجرمين اي مشركين اي ولما حكى الله تعالى عن هود ما ذكره بقوله
حكي ايضا ما ذكره قومه له وهو اشيا اولها ذكره تعالى بقوله قالوا يا هود ما جيتنا ببينة
اي بحجة تدل علي صحة دعواك وسميت بينة لانها تبين الحق ومن المعلوم انه عليه
الصلاة والسلام كان اظهر لهم المعجزات وثانيها قولهم وما نحن بتاركي الهتنا اي عبادة
وقولهم عن قولك اي صادرين عن قولك حال من الضمير في تاركي وهذا ايضا
من جهلهم فانهم كانوا يعرفون بان النافع والضار هو الله تعالى وان الاصنام لا تضر
ولا تنفع وذلك حكم فطرة العقل وبديهة النفس وثالثها قولهم وما نحن لك بمومنين
اي مصدقين وفي ذلك اقناط له من الاجابة والتصديق ورابعها قولهم ان اي ما
نقول في شانك الا اعتراك اي اصابك بعض الهتنا بسوء لسبك اياها
فجعلتك مجنونا وافسدت عقلك ثم انه تعالى ذكر لما انهم قالوا ذلك قال هود
عليه السلام اني اشهد الله علي واشهدوا انتم ايضا علي اني بري مما تشركون من دونه
اي الله وهي الاصنام التي كانوا يعبدونها فكيدوني اي احتالوا في هلاكي جميعا
انتم واصنامكم التي تعتقدون انها تضر وتنفع فانها لا تضر ولا تنفع فانه اتفق
القرا علي اثبات اليا في كيدوني هنا وقفا ووصلا لثباتها في المصحف ثم لا تنظرون
اي تمهلون وهذا فيه معجزة عظيمة لهود عليه السلام لانه كان وحيدا في قومه
وقال لهم هذه المقالة ولم يهبهم ولم يخف منهم مع ما هم فيه من الكفر
والجبروت ثقة بالله تعالى كما قال تعالى اني توكلت علي الله ربي وربكم اي فوضت
امري اليه واعتمدت عليه ما من دابة تدب علي الارض ويدخل في هذا جميع
بني آدم والحيوان لانهم يدبون علي الارض الا هو آخذ بناصيتها اي مالكها
وقاهرها فلا يقع نفع ولا ضر الا باذنه والناصية كما قال الازهري عند العرب
منبت الشعر في مقدم الراس وسمي الشعر النابت هنا ناصية باسم منبته و
والعرب اذا وصفوا انسانا بالذلة والخضوع قالوا ما ناصية فلان الا بيد فلان
وكانوا اذا اسروا الاسير وارادوا اطلاقه والمن عليه جزوا ناصيته ليكون ذلك
علامة لقهره فخوطبوا في القرآن بما يعرفونه من كلامهم ان ربي علي صراط مستقيم اي
علي طريق الحق والعدل فلا يظلمكم ولا يعاملكم الا بالاحسان والانصاف فيجازي
المحسن باحسانه والمسي بعصيانه وقوله تعالى فان تولوا فيه حذف احدى
التاءين اي تعرضوا فقد ابلغتكم جميع ما ارسلت به اليكم فان قيل الابلاغ كان
قبل التولي فكيف وقع جزا الشرط اجيب بان معناه فان تتولوا لم اعاتب علي
تقصير من جهتي وصرتم محجوبين لانكم انتم الذين اصررتم علي التكذيب وقوله
ويستخلف ربي قوما غيركم استيناف بالوعيد لهم بان الله تعالى يهلكهم

Copyright King Saud University